محاضرة(٢٨-٢٩) عام وفود القبائل الى المدينة المنوّرة ـ حجة الوداع ـ غدير خُم :ـ

١- عام وفود القبائل العربية الى المدينة المنوّرة : ما انْ انتهت السنة الهجرية **الثامنة ، إلّا وسقطت أكبر** قواعد الوثنية والشرك ، في أيدي المسلمين الذين انتصروا على أعدائهم تماماً **، فأخذت القبائل المتمردة** تتقرب إليهم تدريجياً ، وتوالت وفودُها **على النبي(ص)** تقدم ولاءها وتعلن إسلامها وتتقبل الرسالة المحمّدية **، وظراً لكثرة الاعداد الوافدة على النبي(ص)في ذلك العام ،سُمّي عام الوفود** [1] **. إنّ نتائج اجتماع** الوفود وما دار بينهم و بين الرسول(ص) تفيد بوضوح بأنّ الإسلام انتشر في الجزيرة العربية عن طريق الدعوة والتبليغ . وتحدث القرآن الكريم في سورة خاصة عن حضور تلك الوفود على النبي (ص) وما حقّقه الإسلام من فتح وانتصار((**اذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْح * وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ في دِينِ اللهِ أَفْواجاً** * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوّاباً)) [2] **. وعلى الرغم من ذلك** الفتح المبين **فإنّ النبي(ص)قد** أعدّ في هذا العام عدّة سرايا بعثها الى جهات مختلفة ، ومن جملتها سريّة الامام **علي(ع)** الى أرض طي ، وقد أختصت لهدم مظاهر الوثنية . كما وقعت غزوة تبوك والتي لم يقاتل فيها النبي(ص) أحداً إلاّ انها كانت تمهيداً لحماية ثغور بلاد المسلمين أولاً ، ولفتح المناطق الحدودية ثانياً .

٢- حجة الوداع: في السنة الهجرية العاشرة ، حمل جبرائيل الأمر الآلهي الى نبيّه الكريم بأدآء المسلمين مراسم الحج ((وأذِّنْ في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر)) [3] فأخبرهم بأنه عازم على أدآء فريضة الحج ، وكان ذلك في السادس والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام ، فاجتمع اليه خلق كثير من جزيرة العرب حتى وصل عددهم الى مائة ألف أو يزيدون ، فسار بهم ليُعلّمهم الحج الإبراهيمي عملياً في سياق أدائه لتلك الشُعيرة الألهية ، ويُطلعهم مناسكهم ، ويوقفهم على واجباتهم ، كما يقوم بإزالة كلّما علق بها طيلة سنوات الجاهلية الجهلاء ، فيُعين حدود عرفات ومنى ويوم الافاضة ، لانه قد لا يكون معهم **في السنة القادمة** [4] كما أخبرهم بخطبته فيما بعد ، وكان يقول لهم: (إلزموا مشاعركم ، فأنكم على إرث من إرث إبراهيم) [5] وقد أزال في سفره هذا كل البدع التي إبتدعها مشركوا قريش وغيرهم ، حتى **اذا** دخلوا مكّة المكرّمة في اليوم الرابع من شهر ذي الحجة وأدّوا مناسكهم توجه بهم الرسول(ص) في اليوم **الثامن من** شهر ذي الحجّة عن طريق منى التي توقف فيها إلى طلوع شمس اليوم التاسع **، فركب** ناقته متوجهاً **نحو عرفات ، ونزل في خيمة** أعدت له **في نمرة** ، وألقى هناك خطاباً تاريخياً هاماً من على ناقته**في جموع** الحجيج ، **وأبتدأ** خطابه قائلاً: (أيّها النّاس اسمعوا **قولي واعقلوه ،فإنّي لا أدري** لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ؛ أيّها النّاس: إنّ دماءَكم وأموالكم وأعراضَكم عليكم حرام

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى :٢٩١/١ ؛ قد ذكر أسماء ٧٣ وفداً قدموا على الرسول(ص)طول السنة الهجرية التاسعة .

(٢)سورة النصر (١١٠) : آلآيات ١ ، ٢ .

(٣)سورة الحج (٢٢) : آلآية ٢٧ .

(٤) ابن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية :٣٢٧/٣ .

(٥) الواقدي ، السيرة والمغازي : ٣/ ١١٠ .

إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة شهركم هذا وكحرمة بلدكم هذا ، وكحرمة يومكم هذا) وقد ألغى في هذا الخطاب عادات ثأر الجاهلية المشوَومة بادئاً بأقربائه ، مثل الانتقام والخيانة ، **وأداء الامانة ، والربا ، وأحسنوا الى** النساء خيراً ، واتقوا الله فيهنَّ ، وقد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، **أمراً** بيناً كتاب الله وعترتي أهل بيتي . **والمسلمُ أخو المسلم ، والمسلمون إخوة ، ولا نبي بعدي ، ولا أُمّة بعدكم ، ألا كلّ شيء من أمر** الجاهلية موضوعٌ تحت قدمي [1] وبهذا المراسيم فقد أزال كل البدع التي ابتدعها مشركوا قريش وغيرهم ، وقد سميت هذه الحجة بحجة الوداع وحجة الاسلام وحجة البلاغ [2] .

٣- بيعة الغدير: لمّا أتمّ الرسول الأعظم محمّد(ص) حجةُ الوداع قفل راجعاً الى مكّة المكرّمة وفي أثناء الطريق إلى المدينة المنورة ، هبط جبرائيل(ع) **على رسول الله(ص) بمفاجئة تدعى ـ غدير خم ـ قرب الجحفة** تشمل مكّة المكرّمة [3] ، وأبلغه الآية التالية: ((يا أَيُّهَا الرَّسُول بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رسالتهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاس)) [4] وكان ذلك الأمر هو الإعلان عن تنصيبه **علي ابن أبي طالب(ع) بأمر** الله عزّ وجلّ ، **و أمام أنظار مائة** ألف شاهد ، فاستوقف الرسول المسلمين على مفترق طرق لأنهم سيفترقون باتجاه محال سكناهم ، وربّما لن يسمع الكثير صوته بعد ذلك اليوم ، ثم وقف على رحال جُمعت له كي يراه ويسمعه كل الحجيج ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: (ايُها الناس ، يوشك أن أُدعى فأُجيب ، وإنّي مسؤول وأنكم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد بلّغت وجاهدت ونصحت ، فجزاك الله خيراً ، فقال: (أليس تشهدون أن لا اله الاّ الله ، وأن محمّداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق ، وأن ناره حق ، وأن البعث حق بعد الموت ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، قالوا نشهد بذلك ، ثم قال: (إنّي تارك فيكم الثقلين: **كتاب الله ، وعترتي** أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا ، **وإن** اللطيف الخبير نبّأني أنّهما يفترقا حتى يردا عليّ **الحوض** ، فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا) ثمّ رفع يَدَ **عليٍّ قائلاً** : (يا أيّها الناس من أولى الناس بالموَمنين من أنفسهم) قالوا: الله ورسوله أعلم .**فقال (ص): (إنّ الله مولاي وأنا مولى** الموَمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم ، **فمن كنت مولاه فعليٌ مولاه** ، اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه **، وانصر من نصره** ، واخذل من خذله ، وأحب من أحبّه ، و ابغض من أبغضه ، وأدر الحقّ معه حيث دار [5] ثم كبّر الرسول بصوت عال ، وقال :(الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضىً الرب برسالتي ..) **كما أنّ النبي(ص)** أمر المهاجرين والأنصار ، **ونساءه بالدخول على الإمام علي(ع)** لتقديم التهنئة له بهذه الفضيلة الكبرى ، **كما أورد ذلك الصحابي** زيد بن أرقم؛ **وأنّ أوّل من صافق النبي(ص)**وعلياً؛ هم: **كبار الصحابة؛ أبوبكر وعمر و**عثمان وطلحة والزبير، وباقي المهاجرين والأنصار وغيرهم من حجيج البحرين وعُمان وغيرهم من الأقطار الأخرى ، **ثم قام حسّان بن ثابت الانصاري وأستأذن الرسول وأنشد** قصيدته التي مطلعها :

فقال لـــه قم يا علي فإنّني رضيتك من بعدي إماماً وهادياً

ثم نزل وصلّى ركعتين ، فأذنّ مؤذن الظهر وصلى بأصحابه [6]

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى :١٨٦/٢ .

(٢) زيني دحلان ، السيرة النبوية : ١٤٣/٢ .

(٣) وهي من مواقيت الاحرام ، وتبعد عن الجحفة بثلاثة أميال ، وتقع بين مكة المكرمة ـ لمدينة المُنورة ، وتتشعب منها طرق أهل المدينة المُنورة ومصر والعراق.

(٤)سورة المائدة (٥) : آلآية ٦٧ .

(٥) كرر النبي (ص) هذه العبارة ثلاث مرات دفعاً لأيّ التباس .

(٦) ابن حنبل ، مسند أحمد:١٤/٣ـ ١٧ ـ ٢٦ ـ ٥٩ ، ٣٦٦/٤ ـ ٣٧١ ، ١٨٢/٥، ينظر: مسلم ، صحيح مسلم : ١٢٢/٧ .